ليلة في جهنم

منزل أبو خطوة

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

ليلة في جهنم- منزل أبو خطوة
حسن الجندي
تصميم الغلاف: كريم آدم
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2016/26384
الترقيم الدولي: 978-977-85316-6-4
الطبعة الأولى: 2017

حسن الجندي

ليلة في جهنم

منزل أبو خطوة

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى روح أمـي الغاليـة.. أشـعر بـأن الوقـت قـد اقـترب، مـا هـي إلا بضعـة أمـور أنجزهـا لأكـون مسـتعدًا.. أراكِ هنـاك.

ما قبل البداية

1963 – مصر – جبل حمزة

داخل منشأة رقم ب 6 التابعة لبرنامج الصواريخ المصري، جلس ثلاثة من المهندسين الألمان يرافقهم مهندس مصري داخل أحد المكاتب بالطابق الثاني، المهندسون الألمان يقفون جميعًا إلى منضدة صغيرة وُضِعَت عليها بضع رسوم هندسية لغرفة تبريد داخل صاروخ، وأحدهم يكتب بضع معادلات على هامش الرسوم والاثنان الباقيان ينتظرانه بشغفٍ.

أما المهندس المصري فجلس وراء أحد المكاتب يقرأ تقرير مراجعة كتب بالألمانية لغرفة الاحتراق الأولى في الصاروخ، ويكتب بضع ملاحظات بمفكرة صغيرة بجانبه.

- سلام عليكم.

قالها رجل في الخمسين من عمره وهو يدخل بصحبة شاب من باب المكتب؛ فنظر له اثنان من الألمان وقالا بلغة عربية مضحكة:

- وعليكم السلام.

نظر المهندس المصري للشاب وهو يرد التحية بابتسامة مرحِّبة، فقال الرجل:

- أعرِّفكم بدكتور/ جابر، اللي كلكم مستنينه، هاسيبه معاكم دلوقت وأرجع لكم في ساعة الغدا.

ثم نظر للشاب وهو يقول بودٍّ:

- أهلًا بيك معانا، هاسيبك تتعرف عليهم بس خلي بالك إن الألمان هنا ما يعرفوش غير كلمة السلام عليكم وعليكم السلام، نتقابل على ساعة الراحة.

غادر الرجل فسار (جابر) بخطوات واثقة لداخل المكتب، والمهندس المصري ينهض من خلف مكتبه ويمد يده لمصافحة (جابر) معرفًا نفسه:

- معاك المهندس (حلمي فضل الله)، شرفتنا.

جلس (حلمي) إلى مكتبه مرة أخرى، بينما جلس (جابر) على مقعد أمام المكتب، قال (حلمي) وهو يشير للألمان:

- بعد ما يخلّصوا اللي بيعملوه هاعرِّفك عليهم، معلش إنت عارف إننا مشغولين علشان اختبار الإطلاق بتاع بعد بكرة.

- عارف، كمل اللي بتعمله دلوقت ونتكلم بعد ما تخلص.

- لا عادي أنا يعتبر خلّصت خلاص.. بس ممكن أسألك سؤال؟

- اتفضل.

- هو حضرتك دكتور في أنهي فرع في الهندسة؟

- في الفيزياء النظرية.

رفع (حلمي) حاجبيه دهشة فضحك (جابر) وقال:

- معلش أنا حاسس بيك، تلاقيك بتقول إيه اللي بيعمله معانا هنا.

- في الحقيقة آه.. هما قالولنا إن فيه مشرف مصري هيجي يتابع شغلنا قبل اختبار الإطلاق، لكن شكلك صغير في السن وما شاء الله بتقول معاك دكتوراة في الفيزياء النظرية اللي أنا ما أعرفش كتير عنها أساسًا، هو حضرتك علاقتك إيه بالصواريخ.

- زي ما قالولك، أنا مشرف، بتابع مش أكتر، صعب أتدخل في شغلكم، يهمني أراجع عملية الإطلاق للصاروخ (القاهر) وأحدد هيغلط بنسبة كام متر في إصابة هدفه.

- وحضرتك ليه واثق إن الصاروخ هيغلط في الإصابة؟

- كل اللي شغالين في برنامج الصواريخ يا باشمهندس عارفين إن مفيش أجهزة توجيه للصواريخ وهي طايرة، يعني كأنك بترمي طوبة بالظبط.

- أنا آسف بس حضرتك محبط جدًّا.

- بالعكس، لازم أكون موضوعي علشان أنقل كل اللي هشوفه للجهة اللي كلفتني بالإشراف على التجربة.

- وهو مين اللي كلفك؟

- مكتب الرئاسة.

* * *

الفصل الأول

المذبحة

في عام 1993 كان خضم الصراع بين عائلتي (الدهان) و(السلاموني) في قرية (أبو النور) في القناطر، ربما كان صراعًا مضحكًا بعض الشيء؛ ففي العام السابق اتهمَتْ إحدى نساء عائلة (السلاموني) رجلاً من رجال عائلة (الدهان) بأنه غشها عندما باع لها بيضًا فاسدًا عن قصدٍ.

وكانت المسألة من التفاهة بحيث لم ينتبه لها أيُّ طرفٍ من العائلتين ولكن تُبنَى الجبال من الحصى، فبسبب ذلك الحادث التافه قامت ثائرة العائلتين وازدادت المشاحنات بينهما ووصلت إلى حد المشاجرات بالأيدي ثم استخدام الأسلحة البيضاء، ظل الكره والعداوة بين العائلتين قائمًا بتلك الحالة لمدة ستة أشهر تقوم المشاجرات بينهم على أتفه الأسباب، ينظر أحدهم للآخر نظرة لم تعجبه، ثم ينتقل الأمر لمرحلة (لقد سبَّ والدتي في سرّه)!!!

ولكن سمع أهالي قرية (أبو النور) في ليلة ما صوتَ رصاص، وانتشر الخبر في الصباح بأن لصوصًا هاجموا رجلًا من عائلة (السلاموني) وقتلوه.. ولكن عائلة (السلاموني) أخذت تلك الحادثة على أنها من تدبير عائلة (الدهان) وبالتالي يجب الانتقام.. ولكن الانتقام مِن مَن؟

لذلك افتعلوا مُشاجرةً في يومٍ ما، وفي داخل المشاجرة انطلقت رصاصة من أيدٍ خفية لتصيب أحد رجال (الدهان) في مقتل، وهنا اشتعلت

المشاجرة وبدأت الرصاصات تنهال من الجانبين بعد أن ابتعد الطرفان قليلًا، بدأت مناوشات انتهت بعد دقائق من تراشق النيران، ولكن بتلك الحادثة بدأ الصراع الحقيقي بين العائلتين.. مَحاضر النيابة لا يمكنها حصر جميع أفراد العائلتين، ولذلك فالشرطة لا تتمكن إلا من القبض على القليل والباقي يهرب مرة أخرى وخاصة أن نقطة الشرطة القريبة من القرية لا يمكنها مطاردة الفارين أو حتى إحكام سيطرتها على القرية؛ فهي في الأصل شقة إيجار قديم بالدور الأرضي بأحد البيوت، ليس بها إلا ضابطان واثنان من العساكر الذي تنحصر مهمة أحدهما في رش بعض الماء أمام المنزل كل صباح ليرطب الجو كي يتمكن الضابطان من الجلوس في الهواء الطلق.

ولذلك انتشرت تلك المناوشات ووقع ثلاثة رجال من عائلة (السلاموني) وستة رجال من عائلة (الدهان) والكثير من الإصابات التي لا تُحصَر، حتى تم ما يبدو كأنه معاهدة صُلح بين العائلتين، بمساعدة بعض العائلات من القرى المجاورة.

ولكن بعد ثلاثة أشهر من المعاهدة حدثَ ما توقعه الجميع على الأغلب.

***

داخل منزل الحاج (عبد الفتاح) كان من المقرر أن يجتمع بعض رجال العائلة الذين أرسل هو في طلبهم ليتناولوا الغداء، نزل الحاج (عبد الفتاح) إلى الشقة في الطابق الأرضي والتي سيجلس بها الجميع، دخلها وجلس في أحد أركانها المُخصَّصة للضيافة، فكَّر كثيرًا قبل أن يدعو الرجال لتناول الطعام، فكر في حال عائلته في الفترة الأخيرة ومنافستهم لعائلة (السلاموني)، عاد التفكير يهاجمه ثانيةً وهو متربع على الأريكة

لكن هذه المرة شعر بثقل جفونه، فكر أنه لا ضير من بعض الاسترخاء قبل الغداء، استسلم للنوم ليتوقف عقله عن التفكير قليلًا، لكن الغريب أنه فجأة وجد نفسه داخل حُلمٍ.

علمَ أنه نائمٌ وأنه يحلم، ومع ذلك لم يستطع التحكم بحركته داخل الحلم، فترك نفسه تتحرك وهو يتأمل الحلم.

يقف في اللامكان، لا معالم واضحة له لموضع وقوفه، لكنه رأى أشخاصًا يعرفهم، هذا هو أحد أبنائه يتعارك مع (سيد) ابن كبير عائلة (السلاموني)، ابنه يكيل لسيد اللكمات والركلات بعنفٍ حتى تورم وجه (سيد) الذي انهار أرضًا، أحس بالفرحة وهو يشاهد ولده يؤدب (سيد)، بل ويكسر إحدى قدميه بقوة وأحد ذراعيه، اختفى المشهد كله وظهر له (صبحي السلاموني) والد (سيد) وهو يتقدم منه ويقول بصوتٍ حزينٍ:

- أنا موافق على الصلح يا (عبد الفتاح)، الدم لازم يتحرَّم بين العيلتين من النهارده، النهارده ابني كان هيضيع، بكرة ممكن ابنك يضيع.

اختفى (صبحي) من الحلم فجأة وسمع (عبد الفتاح) صوت حفيدته (مي) تنادي عليه قائلة: «جدي.. قوم يا جدي أعمامي وصلوا.»

فتح (عبد الفتاح) عينيه ليجد (مي) تقف أمامه وهي تهزه بلطفٍ، مسح على وجهه واعتدل بمجلسه وهو يقول:

- خليهم يدخلوا ونزلوا الأكل بسرعة.

***

ها هم الرجال يجلسون حول «الطبلية» على الأرض يتناولون طعامهم، ومن وقت لآخر تأتي إحدى نساء المنزل لتلقي نظرة خاطفة إذا احتاج

الرجال كوبًا من الماء أو قطع لحم أخرى أو محاشي، حتى فرغ الرجال من تناول الطعام فقاموا يغسلون أيديهم ثم يتجهون لغرفة أخرى من الشقة الواسعة ويجلسون على وسائد يدوية الصنع وُضِعَت على الأرض.

أما نساء المنزل فقمن برفع الصحون من على «الطبلية» واستعددن لعمل الشاي وتسخين الفحم للشيشة التي سيطلبها كبير العائلة..

الرجال عددهم سبعة، تتباين أشكالهم بين مرتدي الجلباب والقميص والسروال والعباءة، وتتباين أيضًا أعمارُهم بين العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات، أما الشخص الثامن وهو أكبرهم سنًا وأكثرهم هيبةً؛ فكان يرتدي جلبابًا منزليًّا بسيطًا لم يقلل من هيبته كما لم يقلل أيضًا قِصر جسده من مظهره المهيب، وشاربه المنمق ووجهه الذي ما زال يمتلئ بالحيوية والنشاط والقوة برغم سنوات عمره التي تجاوزت الستين بسنوات.

إنه كبير عائلة (الدهان) الحاج (عبد الفتاح الدهان) يجلس بين بعض رجال عائلته أو المقربين منهم بمعنى آخر، والمنزل الذي يجلسون فيه هو منزل كبير العائلة المكون من خمسة طوابق لأبنائه وبناته كي يقيموا معه في نفس المنزل بعد زواجهم، لقد كان رجلًا ذا هيبة واحترام في القرية لم ينافسه فيها إلا الحاج (صبحي السلاموني) كبير عائلة (السلاموني) والذي لم يحتك معه قديمًا في أي مشكلة فكُلٌّ منهما يعرف أن للآخر قوة عاتية تكمن في عائلته، وكأن لكل منهما جيشًا يفتخر به.

المهم أن الحاج (عبد الفتاح) أخبر الرجال بضرورة اجتماعهم على طعام الغداء بعد صلاة العصر في (المضيَفة) وهي شقة بالطابق الأرضي للمنزل يجتمع أفرادُ العائلة بها يتناولون طعام الغداء والعشاء ويتسامرون، يستقبلون الضيوف أيضًا؛ فهي الموازي لفكرة (المندرة) في القرى الريفية القديمة.